الدلالة الموضوعية في القرآن
تعددها ، وتجددها

د/ يحيى محمد عامر راشد
أستاذ التفسير المساعد – كلية الآداب– جامعة إب

خلاصة البحث

بحمد الله وتوفيقه تم الفراغ من هذا البحث الذي استهدف عبر المنهج التحليلي تجلية خاصية (التعدد والتجدد الدلالي في القرآن) في مقدمة وثلاثة مباحث :

أما المقدمة ، فقد استعرضت فيها بإيجاز التعدد الموضوعي كظاهرة قرآنية جسَّدها العلماء في كمٍّ الموضوعات والأفكار التي فهموها منه ، بإيحاء من كثيرٍ من الآيات والأحاديث النبوية ذكرت بعضها على سبيل المثال .

وأما المبحث الأول ، فقد عَّرفت فيه موضوع البحث وحدَّدت المقصود به قطعاً للاحتمالات غير المقصودة .

وأما المبحث الثاني ، فقد تناولت فيه (التعدد الدلالي) كظاهرة لغوية ليتجلى من خلالها وجه الإعجاز والتميّز في (التعدد الدلالي في القرآن) عن غيره من الكلام ، وذلك خلال المقارنة بينهما في مظاهر التعدد الدلالي المختلفة ....

وأما المبحث الثالث ، فقد تم فيه الإعلان عن وجه الإعجاز والتميز الدلالي في القرآن مشفوعاً بجملة من الأدلة المتنوعة كان أخرها القضاء العقلي بحتمية التعدد الدلالي في القرآن ، مسبباً ذلك بطبيعة أصله الروحية، وكونه صفة للذات الإلهية الأبدية .

المقدمة :

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فإن من الظواهر القرآنية التي تلفت النظر ، وتستوقف العقل ، وتجذب الانتباه ، وتسترعي الاهتمام ، ظاهرة (تعدد وتجدد) المعاني التي تتوارد على الذهن ويدركها العقل وينشرح لها الصدر وتطمئن بها النفس عند قراءة القرآن ، فإنك كلما قرأته وجدت له معانٍ غير تلك التي وجدتها من قبل .. وهكذا في كل مرة تقرأه فيها ، حتى يخيل إليك في كل مرةٍ كأنك تقرأه لأول مرة .

وهذا ما أدركه المستشرق (ليون) حيث يقول : " حسب القرآن جلالةً وبجداً أن الأربعة عشر قرناً التي

مرت عليه لم تستطع أن تحفف ولو بعض شيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كان عهده بالوجود أمس "[1]

ومن قبله أدركه الوليد بن المغيرة وجسَّده في قوله في وصف القرآن : " إن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر "[2] ، فقوله هذا تصويرٌ لتعدد وتجدد معاني القرآن وعزازتها ، فإن(الغـدَق) في اللغة : المطر الكثير العام .. وماءٌ مُغْدَوْدِقٌ : غزير[3] ، إن هذا التعدد والتجدد هو ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا يشبع منه العلماء ، ولا يخلَق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه " [4] . وهو ما أشار إليه المولى سبحانه وتعالى بقوله " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً "[5] .

فمن وحي هذا التعدد والتجدد الذي استوحاه العلماء من هذه الآية وغيرها من الآيات التي تدل على أبدية مرجعية القرآن التشريعية وعموميتها وشموليتها :

- تعددت وجوه إعجاز القرآن : كالإعجاز البياني ، والعلمي ، والروحي ، والعددي .. وغيرها ، وسوف يزداد تعداداً وتجدداً مع مرور الوقت وتقدم العلم ، فإن وجوه إعجاز القرآن لا تتناهى.[6]
- وتعددت مناهج تفسيره ، وأنواعه : كالتفسير النقلي والعقلي ، والتحليلي والموضوعي ، والعلمي والأدبي ، والفقهي والصوفي ، والبياني واللغوي [7] .... الخ .
- وتعددت علومه ومعارفه وستستمر ، وقد كُتب في ذلك الكثير من الكتب قديماً وحديثاً : كالبرهان ، للزركشي ، والإتقان . للسيوطي ، ومناهل العرفان . للزرقاني ، ومباحث في علوم القرآن . للدكتور صبحي الصالح .. وغيرها .
- إن هذا التعدد والتجدد لمعاني القرآن وموضوعاته وعلومه ومعارفه ..الخ هو ما سأحاول في هذا البحث أن أجلِّيه ، وأدلل عليه كخاصية اعجازية من خصائص القرآن ، وذلك في ضوء القرآن ، إنشاء الله تعالى .

المبحث الأول
المقصود بالدَّلالة الموضوعيَّة

قبل الحديث عن الدلالة الموضوعية تعدداً وتجدداً لا بد من التعريف بعنوان البحث المركب من كلمتي (الدَّلالة ، والموضوعية) وبيان المقصود به.

تعريف الدلالة :

أما الدلالة ، فالمتتبع لمعانيها في كتب اللغة وغيرها يجدها على صيغها المختلفة تدور على معنيين :

الأول : معنى الدليل :

وبهذا عرف أبو هلال العسكري الدَّلالة فقال : " ما يمكن أن يستدل به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد، والشاهد أن أفعال البهائم تدل على حدثها وليس لها قصدٌ إلى ذلك ، والأفعال المحكمة دلالة على علم

فاعلها وإن لم يقصد فاعلها أن تكون دلالة على ذلك "[٨] وعرفها الجرجاني بقوله : " كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلمُ بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والشيء الثاني هو المدلول"[٩] وعرفها الأصفهاني بقوله : " ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب ، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسانٍ فيعلم أنه حي ، قال تعالى : { مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ} [١٠] ، وأصل الدلالة : مصدر كالكتابة والأمارة ، والدالُّ : من حصل منه ذلك . والدليل في المبالغة ، كعالم وعليم ، وقادر وقدير ، ثم يسمى الدالُّ والدليل دَلالةً كتسمية الشيء بمصدره "[١١]

وقد ورد ذكر الدليل ومشتقاته في القرآن في سبعة مواضع [١٢] منها :

قوله تعالى : (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ) [١٣].

وقوله تعالى : (قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى) [١٤].

وقوله تعالى : (لَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً) [١٥].

الثاني : معنى المدلول :

يقول أبو هلال العسكري مبيناً أوجه الدلالة : " والرابع الأمارات يقول الفقهاء : الدلالة من القياس كذا ، والدليل فاعل الدلالة " [١٦].

فإذا كان الدليل فاعل الدلالة ، فإن الدلالة مفعول الدليل ، ومفعول الدليل إنما هو مدلوله الذي يدل عليه من معانٍ وموضوعات ، ويقول الشاطبي مقسماً الدلالة إلى أصلية وتبعية : " للغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة على معانٍ نظران :

أحدهما : من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقةً دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية .

الثاني : من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معانٍ خادمة وهي الدلالة التابعة "[١٧].

وكلام الشاطبي هذا يدل على أن الدلالة سواء كانت أصلية أم تبعية إنما هي ما تدل عليه الألفاظ والعبارات من معانٍ وموضوعات .

ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال : " الدلالة بنوعيها – الواقعي ، والخاص – تسمى الوظيفة الإشعاعية للفظ ، ويبدو الإشعاع واضحاً عندما يكون اللفظ دالاً على ذات لأنه عند سماعه يثير في الذهن مدلوله الخارجي بشكله وهيئته وخصائصه ، وهذا هو المراد بالإشعاع "[١٨].

ويعرف الإمام السبكي دلالة (التضمن) فيقول : " ثم إن هذه الدلالة عبارة عن كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى من كان عالماً بالوضع ... " [١٩].

" وقيل إن الدلالة هي فهم أمرٍ من أمرٍ آخر .. وبناءً على هذا التعريف يكون الأمر الأول هو المدلول ، والثاني هو الدال " [٢٠] .

وبهذا المعنى استعمل علماء أصول الفقه الدلالة ويدل على ذلك أمران :

الأول : طرق الدلالة التي استمدها العلماء واستنبطوها من استقراء أساليب اللغة العربية وعباراتها ومفرداتها ، ليتوصل الباحث بمراعاتها إلى فهم الأحكام من النصوص الشرعية فهماً صحيحاً ، حصرها بعضهم في أربع طرق : طريق العبارة ، والإشارة ، والنص ، والاقتضاء ، " فكلما يفهم من النص بطريقٍ من هذه الطرق الأربعة هو من مدلولات النص والنص حجة عليه "[٢١].

وهذا يعني أن هذه الطرق وضعت لمعرفة (المدلول) وليس لمعرفة الدليل ، وإذا لم تكن الدلالة ما يفهم من الدليل من معانٍ ، وما يدل عليه من موضوعات بأي طريق من تلك الطرق ، فماذا تكون ؟

الثاني : تعريفهم لهذه الطرق بأنها المعنى الذي يدل عليه النص إما بعبارته أو إشارته أو نصه أو اقتضائه ، فهو تعريف للدلالة بمعنى المدلول .

فدلالة العبارة : المعنى المفهوم من عبارة النص .

ودلالة الإشارة : المعنى المفهوم من إشارته .

ودلالة النص : المعنى المفهوم من روحه (فحوى الخطاب) .

ودلالة الاقتضاء : المعنى المفهوم من اقتضائه الذي لا يستقيم الكلام إلا بتقديره . [٢٢]

وبهذا المعنى سوف أتناول موضوع هذا البحث إنشاء الله تعالى .

تعريف الموضوعية :

وأما الموضوعية فهي في اللغة : نسبة إلى الموضوع ، والموضوع مشتقٌ من الوضع . والوضع : جعل الشيء في مكان ما ، سواء كان ذلك بمعنى الحطّ و الخفض أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ... ، والمعنيان يلتقيان على البقاء في المكان وعدم مغادرته ". [٢٣]

والهاء في (الموضوعية) للتأنيث ،لأنه صفة لموصوف مؤنث هو لفظ (الدلالة) والصفة تتبع الموصوف في التأنيث والتذكير ... إلخ [٢٤] .

ويؤكد ذلك تعريف الجرجاني (للموضوع) بأنه : " محل العرض المختص به ، وقيل هو الأمر الموجود في الذهن . وموضوع كل علمٍ هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، كبدن الإنسان لعلم الطب ، فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض.." [٢٥]

ووجه صحة استعمال هذه التسمية (الدلالة الموضوعية) من الناحية اللغوية : هو أن فيها معنى التثبيت والبقاء ، فالمفسر الذي يقوم باستنباط المفاهيم واستخراج الموضوعات من النص القرآني إنما يقوم بتثبيت دلالة النص على موضوعاته التي يدل عليها حسب الجهد البشري.

وبهذا المعنى ورد قوله تعالى : " (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) [٢٦] . [٢٧]

المقصود بالدلالة الموضوعية في القرآن

وأما المقصود بالدلالة الموضوعية في القرآن كمركب وصفي فهو ما يدل عليه النص القرآني من موضوعات في شتى المجالات ، سواء دل عليها بعبارته أم إشارته ، بنصه أم اقتضائه بطريق مباشرة أم ضمنية

، أصلية أم تبعية ، وضعيةٍ أم عقلية ...إلخ

-ولا يقصد بها الدلالة الوضعية ، وهي دلالة اللفظ على معناه الذي وضعته العرب له ، والتي يقول عنها ابن تيميه : " وما يدل بدلالة الدالّ به يسمى الأدلة الوضعية لكونها إنما دلت بوضع واضع " [٢٨] ، وتعرف عند الأصوليين بدلالة اللفظ وقد قسمها البيضاوي إلى ثلاثة أقسام فقال : " دلالة اللفظ : على تمام مسماه مطابقة ، وعلى جزئه تضمن ، وعلى لازمه الذهني التزام "[٢٩]

- ولا ما كتبه بعض الباحثين [٣٠] تحت عنوان (الإعجاز الموضوعي) من حيث " إن الموضوعات التي يشتمل عليها القرآن [سواء كانت تشريعية أم علمية أم أخباراً غيبية] هي ذاتها معجزة ، ولا يمكن لبشر أن يأتوا بمثلها مهما ارتقت عقولهم ، وحشدوا لذلك كل طاقاتهم "
- ولا الموضوعات الكلية التي تمثل مضمون القرآن : كالعقائد ، والعبادات ، والمعاملات ، والقصص ، والأمثال ... وغيرها .
- ولا الموضوعات الجزئية التي حاول بعض الباحثين جمعها وتصنيفها مثل الدكتور عبد الصبور مرزوق في كتابه معجم الأعلام والموضوعات في القرآن الكريم .

منشأ الدلالة الموضوعية :

وهذه الدلالة لا تنشأ عن اللفظ منقطعاً عما قبله وعما بعده ، وإنما تنشأ عنه متصلاً بما قبله وما بعده . أي أن الدلالة الموضوعية لاتستفاد إلا من كلام مركب مفيد ، لأن المقصود بها – كما علمنا – الموضوع الذي يدل عليه النص القرآني في أي مجال من المجالات ، ولا يكون إلا معنىً تاماً ، ولا يعبِّر عن المعنى التام إلا الكلام المركب المفيد فائدة تامة ، ولهذا قلنا : ما يدل عليه (النص) القرآني ، ونقصد به " ما يؤدي معنىً تاماً كالذي يؤدي عادةً في بضع آيات ، وقد يؤدى في آيةٍ طويلة أو سورة قصيرة " وهو ما سماه الدكتور دَراز (بالقطعة) [٣١]

يقول الرافعي : " لا جرم أن المعنى الواحد يعبَّر عنه بألفاظٍ لا يجزي واحد منها في موضعه عن الآخر ..." [٣٢] ، ويقول : " والجملة هي مظهر الكلام ، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي ، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة إلى معان تصورها في نفسه أو تصفها ، ترى النفس هذه المادة المصورة وتحسها ، على حين قد لا يراها المتكلم الذي أهدفها لكلامه غرضاً ولكنه بالكلام كأنه يراها " [٣٣] ، ويقول الدكتور محمد حسن جبل : " إن هذا المعنى التركيبي هو الذي يمكّن من التعبير المتكامل عن المعاني غير المفردة وعن ترتيب هذه المعاني بعضها على بعض .. ودون هذا المعنى التركيبي يعود نثار المفردات لغواً قد يهبط عن لغة الإشارة ، بل لعله دون التركيب تفقد المفردات أهمَّ قيمةٍ لوجودها ، ثم يفقد المفهوم الحقيقي لمصطلح (اللغة) أو (اللسان) نفسه"[٣٤]

المبحث الثاني
تعدد الدلالة ظاهرة لغويّة

قبل الحديث عن تعدد الدلالة الموضوعية وتجددها كخاصية قرآنية إعجازية من خصائص القرآن ، لأنهما وإن كانتا صفتين مستقلتين لفظاً ومعنىً إلا أنهما كالصفة الواحدة إن لم يكونا كذلك بالفعل لما بينهما من التلازم الذي يستحيل معه أن تنفك إحداهما عن الأخرى ، فلا يتصور التعدد إلا مع التجدد ، ولا التجدد إلا مع التعدد . أي أن الدلالة الموضوعية في القرآن متعددة متجددة في وقتٍ واحد . فقبل الحديث عن ذلك تحسن الإشارة باختصار إلى التعدد الدلالي كظاهرة لغوية موجودة في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات ليتجلى من خلال ذلك وجه الإعجاز في التعدد الدلالي في القرآن وجانب التميز فيه عن غيره من الكلام ، فقد أجمع علماء اللغة قديماً وحديثاً على أن تعدد دلالة الألفاظ مفردة كانت أم مركبة تعد ظاهرة لغوية عامة موجودة في كل اللغات ، تؤكد ذلك الدراسات المستفيضة القديمة والحديثة العربية والأجنبية التي أجريت فيما يسمى (بعلم الدلالة).[٣٥] يقول الدكتور عبد القادر عبد الجليل تحت عنوان (تعددية الدلائل): " اللغة أي لغة : مجموعة من الدلائل تمثل كل وحدة فيها دليلاً لغوياً .[٣٦] ، ويبرز هذا التعدد الدلالي في عدة مظاهر :

الأول : تعدد الدلالة المعجمية (اللفظية):

- سواء كان تعدد معنىً . كأن يدل اللفظ على عدة معانٍ كما هو الحال في معاجم الألفاظ كالصحاح للجوهري . ومقاييس اللغة لابن فارس وغيرهما .
- أم تعدد لفظٍ . كأن تدل ألفاظ متعددة على معنىً واحدٍ كما هو الحال في معاجم المعاني كالألفاظ الكتابية للهمذاني ، ومتخير الألفاظ لابن فارس .

يقول ابن جني معلقاً على موضوع (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني : " هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة . ذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماءً كثيرة ، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده يفضي إلى معنى صاحبه "[٣٧]

ويقول السيوطي : " كان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه غير أنه لا يمكن ذلك ، لأن كل هذه الكلمات متناهية ، وكيف لا تكون متناهية وموادها ومصادرها متناهية ؟ فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة فجعلوا عبارة واحدة لمسمياتٍ عدة : كالعين ، والجون ، واللون [٣٨] ، ثم وضعوا بإزاء هذا على نقيضه كلماتٍ لمعنىً واحد لأن الحاجة تدعو إلى تأكيد المعنى والتحريض والتقرير ، فلو كرر اللفظ الواحد لَسَمُجَ ومُجّ ، ويقال : الشيء إذا تكرر تكَرَّج [٣٩] ، والطباع مجبولة على معاداة المعادات ، فخالفوا بين الألفاظ والمعنى واحد . ثم هذا ينقسم إلى ألفاظ متواردة وألفاظ مترادفة : فالمتواردة كما تسمى الخمر عقاراً ، وصهباء ، وقهوة ، وسلسالاً ، والسبع ليثاً ، وأسداً ، وضرغاماً ، والمترادفة هي التي يقوم لفظ مقام

لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنىً واحدٌ كما يقال : أصلح الفاسد ، ولم الشعث ، ورتق الفتق ، وشعب الصدع "[٤٠]

الثاني : تعدد الدلالة التركيبية (محددات الدلالة) :

وهي تعليق الكلم بعضها ببعض . يقول ابن قيم الجوزية : " الدلالة التركيبية هي ضم نص إلى نص آخر ، وهي غير دلالة الاقتران ، بل ألطف منها وأدق وأصح "[٤١]

ويقول الجرجاني : " لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها على بعض ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك " [٤٢] ، ويبيّن أن دلالات الألفاظ لا تظهر إلا من خلال التركيب وضم لفظٍ إلى آخر ووضعه في مكانه الصحيح والدليل على ذلك كما يقول : " أن يُنظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً ، وتؤدي في الجملة معنىً من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كملة وبناء لفظة على لفظة " [٤٣]

وتشمل عدداً من الدلائل أو المحددات التي تعمل على تحديد المعنى مثل :

- المحدد النحوي (الدلالة النحوية) .

والتي يختزل فيها الجرجاني الدلالة التركيبية ، فيرى أن النظم ليس سوى مراعاة القواعد النحوية فيقول : "ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها " ثم ضرب أمثلة بين بها وجوه تغير الكلم لفظاً ونظماً . مثل (انطلق زيدٌ ، وزيدٌ منطلقٌ)... إلخ ، ثم قال : " هذا هو السبيل فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنىً من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غيرما ينبغي له ، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل ببابٍ من أبوابه "[٤٤]

فالنحو هو السبيل إلى معرفة المعاني التي تتوارد على الكلمة : من فاعلية مثل قرأ محمدٌ ، ومفعولية مثل أقرأت محمداً ، وإضافة مثل هذه قراءة محمدٍ .. وغيرها من المعاني التي لا تتميز إلا بالإعراب ، وهو موضوع النحو [٤٥]

- المحدد الصرفي (الدلالة الصرفية) .

وهو " الذي يدرس التغيرات التي تطرأ على أبنية الألفاظ فتؤدي معانٍ جديدة .. فالاسم إذا كان مصدراً فإنه يدل على الحدث ، مثل الكتابة والمعرفة والتفسير والشرح ، وإذا كان علماً فإنه يدل على شيء : ذاتٍ أو معنىً ، مثل خالد وحسن ورجل وشجرة وهواء .. والفعل يدل على الحدث في زمن معين ، فدرس تدل على الدراسة في الزمن الماضي ، ويدرس تدل على الحدث في الزمن الحاضر من قبل شخص غائب ،

واذرُسْ تدل على أمر المخاطب بالدراسة ... وأي تغير في بنية الكلمة فإنه يؤثر في المعنى الذي تؤديه الكلمة "[٤٦].

وقد تنبه ابن جني إلى أهمية العنصر الصرفي كما تنبه غيره من النحاة العرب حين تحدثوا عن معاني المدات ، ودلالات الصيغ ، ومن ملاحظات ابن جني الدقيقة في هذا الموضوع تفريقه بين صيغة (مَفْعَل و مِفعل) إذ جعل الميم المفتوحة تدل على الحدث (المصدر) كما تدل على الثبات في مقابل الميم المكسورة التي تدل على اسم الآلة غير الثابت ، يقول : " قولهم للسُّلَّم مِرْقاة ، وللدرجة مَرْقاة ، فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقيّ وكسر الميم يدل على أنها مما ينقل ويعتمل عليه (وبه) كالمِطرقة والمِئزر والمِنجل ، وفتحة ميم مَرْقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمَنارة والمَثابة " [٤٧]

- المحدد البلاغي (الدلالة البلاغية) .

وقد عالجه البلاغيون بصورة واضحة ودقيقة وبخاصة عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم التي عرضها في كتابة (دلائل الإعجاز) ، ففي موضوع (المعنى ومعنى المعنى) يقول : " الكلام على ضربين : ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت : خرج زيدٌ ، وبالانطلاق عن عمرو فقلت : عمرو منطلقٌ ، وعلى هذا القياس . وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية، والاستعارة ، والتمثيل . أو لا ترى أنك إذا قلت : هو كثير رماد القدر ، أو قلت : طويل النجاد ، أو قلت في المرأة : نؤوم الضحى ، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنىً ثانياً هو غرضك ، كمعرفتك من كثير رماد القدر أنه مضياف ، ومن طويل النجاد أنه طويل القامة ، ومن نؤوم الضحى في المرأة أنها مترفة مخدومة لها ما يكفيها أمرها . وكذلك إذا قلت : رأيت أسداً و دلَّك الحال على أنه لم يرد السبع علمت أنه أراد التشبيه إلا أنه بالغ فجعل الذي رآه بحيث لا يتميز من الأسد في شجاعته . وكذلك تعلم من قوله : بلغني أنك تقدّم رِجْلاً وتؤخّر أخرى ، أنه أراد التردد ..." [٤٨]

- المحدد السياقي (الدلالة السياقية) .

"وهي تلك الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي، تبعاً للظروف المحيطة"[٤٩] ، والسياق في اللغة : نزع الروح .[٥٠]

وفي هذا إشارة إلى أن السياق هو روح الخطاب ، والبنية اللفظية التي يتكون منها هي جسمه الذي يحوي تلك الروح ، والمعنى الذي يدل عليه وينتزع منه بمثابة انتزاع الروح من الجسد ، ولهذا سمي بالمعنى السياقي أو الدلالة السياقية ، وهذا يعني أن علاقة سياق الخطاب ببنيته اللفظية كعلاقة الروح بالجسد . وقد التفت علماؤنا إلى أهمية السياق في تحديد الدلالة منذ وقت مبكر ، فلا تجد أصولياً ولا لغوياً إلا وقد أشار إلى ذلك

عند كلامه عن الدلالة ، فهذا الشافعي يقول : باب (الصنف الذي يبين سياقه معناه) "[٥١] وضرب لذلك أمثلةً متعددة . ويقول ابن قيم الجوزية : " السياق يرشد إلى تبيين المجمل ، وتعيين المحتمل ، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام ، وتقييد المطلق ، وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته ، فانظر إلى قوله تعالى : " ذق إنك أنت العزيز الكريم " [٥٢] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير " [٥٣]

الثالث : تعدد طرق الدلالة

ويبدو من الوهلة الأولى ألاّ فرق بين طرق الدلالة ومحدداتها ، وعند إمعان النظر نلاحظ فارقاً واضحاً بينهما ، وهو أن المحددات تصنع المعاني وتوَلّدها ، والطرق ترشد إليها وتدل عليها ، أي : أن المحددات مولدات للمعاني والطرق كواشف عنها . ولما تعددت المعاني ومحدداتها ، تعددت تبعاً لذلك طرق تحصيل تلك المعاني والتعرف عليها . فعند الأصوليين تنقسم إلى منطوق ومفهوم كما هو عند الشافعية [٥٤] ، وإلى دلالة العبارة ،والإشارة ، والنص ، والاقتضاء كما هو عند الحنفية [٥٥] ، وإلى أصلية ، وتبعية كما ذكر الشاطبي [٥٦] وإلى مطابقة ، وتضمن ، والتزام ، كما قسمها البيضاوي [٥٧] . وعند النحويين تنقسم إلى لفظية ، وصناعية ، ومعنوية كما هو عند ابن جني حيث يقول : " إعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدٌ مراعىً مؤثرة إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب : وأقواهن الدلالة اللفظية ، ثم تليها الصناعية ، ثم تليها المعنوية ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض . فمنه جميع الأفعال ، ففي كل واحدٍ منها الأدلة الثلاثة ، ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره ، ودلالة بنائه على زمانه ، ودلالة معناه على فاعله ، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه "[٥٨]

المبحث الثالث

تعدد الدلالة خاصية قرآنية اعجازية

والقرآن في هذا التعدد الدلالي اللفظي والتركيبي بمظاهره المختلفة كغيره من الكلام فقد تعددت دلالته على المستوى اللفظي والتركيبي ، مستوى الكلمة والجملة .

أما على المستوى اللفظي . فينقسم إلى قسمين :

الأول : تعدد استعمالي .

فالقرآن يستخدم اللفظ الواحد في مواضع متعددة بمعانٍ مختلفة – تختلف من موضع لأخر – مثل كلمة (الهدى) ومشتقاتها فقد استعملها القرآن في سبعة عشر معنىً :

- معنى (البيان) كقوله تعالى : " أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ " [٥٩]
- ومعنى (الدين) كقوله تعالى : " إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ " [٦٠]
- ومعنى (الإيمان) كقوله تعالى : " وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً " [٦١]

- ومعنى (الداعي) كقوله تعالى : " وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" (٦٢)
- ومعنى (الرسل) كقوله تعالى : " فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً" (٦٣)
- ومعنى المعرفة) كقوله تعالى : "وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ " (٦٤)
- ومعنى (الرشاد) كقوله تعالى : " اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " (٦٥)
- ومعنى (القرآن) كقوله تعالى : " وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى"(٦٦)
- ومعنى (التوراة) كقوله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى " (٦٧)
- ومعنى (الاسترجاع) كقوله تعالى : " وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ " (٦٨)
- ومعنى (الحجة) كقوله تعالى : " وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ "(٦٩)
- ومعنى (التوحيد) كقوله تعالى : "إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ "(٧٠)
- ومعنى (السنة) كقوله تعالى : " وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ " (٧١)
- ومعنى (الإصلاح) كقوله تعالى : وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ" (٧٢)
- ومعنى (الإلهام) كقوله تعالى : " أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"(٧٣)
- ومعنى (التوبة) كقوله تعالى : " إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ " (٧٤)
- ومعنى (النبي صلى الله عليه وسلم) كقوله تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى " (٧٥)(٧٦)

الثاني : تعدد احتمالي .

ففي القرآن ألفاظ يحتمل الواحد منها أكثر من معنى مثل كلمة (حساب) في قوله تعالى : " والله يرزق من يشاء بغير حساب " (٧٧) ، فإنها تحتمل عدة معانٍ :

- فقد يكون المعنى : أن الله يرزق من يشاء من عباده دون أن يحاسبه أحد لماذا رزقه ؟ لأنه يعطي عن حريةٍ تامة .
- وقد يكون المعنى : أن الله يرزق من يشاء بغير محاسبة لنفسه خشية نفاذ ما بيديه لأنه غني .
- وقد يكون المعنى : أن الله يرزق من يشاء حيث لا يكون في حساب المرزوق جهة وكيفية الأرزاق لأن ذلك قد اختص الله به .
- وقد يكون المعنى : أن الله يرزق من يشاء بغير معاقبة أو محاسبة له على عمله لأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا معقب لحكمه .

-وقد يكون المعنى : أن الله يرزق من يشاء رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حساب "(٧٨)

أما على المستوى التركيبي :

فلا توجد في القرآن عبارة ولا جملة إلا وتتعدد دلالتها " ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى ، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه ، وفي كل حرفٍ منه جزء بقدره ، وفي أوضاع كلماته من جمله ، وأوضاع جمله من

آياته سر الحياة الذي ينتظم المعنى بأداته "[٧٩] ، مثل قوله تعالى : " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ " [٨٠] ، فقد أورد الزمخشري ثلاثة معان في بيان قوله تعالى : (سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) :

الأول : إنكار أن يستوي المحسنون والمسيئون محياً ، وأن يستووا مماتاً لافتراق أحوالهم . إحياءً : حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات ، وأولئك على ركوب المعاصي .

ومماتاً : حيث مات هؤلاء على البشر بالرحمة والوصول إلى ثواب الله ورضوانه ، وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول إلى هول ما أعدّهم .

الثاني : إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة لأن المسيئين مستوٍ محياهم في الرزق والصحة كما يرزق المحسنون ويصحون وإنما يفترقون في الممات .

الثالث : أن يكون (سواء محياهم ومماتهم) كلاماً مستأنفاً على معنى : أن محيا المسيئين ومماتهم سواء ، وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه " [٨١]

وجه الإعجاز في التعدد الدلالي في القرآن :

إلا أن هذا التعدد الدلالي في القرآن – إن سلمنا بثباته على المستوى اللفظي على اعتبار أنه كغيره من الكلام مؤلف من تلك الألفاظ التي وضع العرب معانيها بالرغم من أن أسلوبه يختلف – بلا شك – عن غيره من الكلام من حيث استعمال الكلمة وتوظيفها في أداء المعنى ، وربطها بغيرها ربطاً عضوياً محكماً يزيدها مع مرور الزمن حياة وحيوية وتفتقاً معنوياً لانهاية له ، وهذا في حد ذاته يعد وجهاً من وجوه التميز الاعجازي للقرآن – ، إلا أنه يختلف عنه في غيره من الكلام على المستوى التركيبي . وهذا الاختلاف هو وجه الإعجاز وجانب التميُّز والسر الذي جعل تعدد الدلالة الموضوعية في القرآن خاصية إعجازية خاصة بالقرآن دون غيره من الكلام ويتجلى ذلك فيما يلي :

١-أنه تعدد متجدد غير منقطع ، وفي هذا إشارة إلى البعد الذاتي لدلالة النص .

٢-أنه تعدد مستمر غير متوقف ، وفي هذا إشارة إلى البعد الزمني لتلك الدلالة .

٣-أن ما يذهل العقل ويحيِّر العقلاء ويجلِّي صورة الإعجاز في تعدد الدلالة الموضوعية في القرآن أكثر فأكثر أن هذا التعدد والتجدد لمعاني القرآن ومدلولاته ، وعلومه ومعارفه يحصل للقرآن بالرغم من قدم نزوله وقيله ، وثبات ألفاظه وعباراته ، وحتى طريقة رسمه وكتابته ، وأدائه وتلاوته . وهذا ما لا يمكن أبداً أن يتأتى لغيره ، فلو أعدنا النظر في فكرةٍ بديعة أو خطبة بليغة ، أو قصيدة فصيحة قديمة قدماً بعيداً أو قدماً قريباً ما خرجنا منها بمعنى غير المعنى الذي حملته ودلت عليه يوم أن قيلت .

ثبات دلالة الكلام وجمودها :

وذلك لأن دلالة الكلام ثابتة وجامدة لا تتجاوز حدود الدلالة الوضعية [٨٢] للفظ مفرداً كان أم مركباً . [٨٣] يقول الدكتور دَراز : " إن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم [أي من الكلام] لم تتسع لتأويل ، وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس ، أو إلى اللغو الذي لا يفيد." [٨٤] ويقول الرافعي : " إن ما عُهد من كلام الناس [أنه] كلما كان أدنى إلى البلاغة كان نصاً في معناه ثابتاً في حيِّزه تجمد الكلمة أو الجملة على معنى بعينه قد يستقيم وقد ينتقص ، وكيفما قلَّبته رأيته وجهاً واحداً وصفة واحدة ، لأن الفصاحة لا تكون في الكلام إلا إبانة ، وهذه لا تُفصِحُ إلا بالمعنى المتعيِّن ، وهذا المعنى محصورٌ في غرضه الباعث عليه ".[٨٥]

تجدد دلالة القرآن ومرونتها :

أما دلالة القرآن فعلى العكس من ذلك فإنها تتجاوز حدود الدلالة الوضعية الثابتة إلى دلالات لا نهائية لا تحدها الألفاظ والتراكيب والعبارات ، وإنما يوحي بها النص من خلالها ، وتفهم من وراء حدودها ففي " أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقليب ، والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة ، فهو يفسر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه ، واختلاف وتمحيص ، وقد فهمه عرب الجاهلية الذين لم يكن لهم إلا الفطرة ، وفهمه من جاء بعدهم من الفلاسفة وأهل العلوم ، وفهمه زعماء الفرق المختلفة على ضروب من التأويل ، وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت مغيبة ، وفي علم الله ما يكون من بعد"[٨٦] ، " وتقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام والخلو من كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها إلى نفسك دون كدّ خاطر ولا استعادة حديث كأنك لا تسمع كلاماً ولغاتٍ ، بل ترى صوراً وحقائق ماثلة . وهكذا يخيل إليك أنك قد أحطت به خبراً وقد وقفت على معناه محدوداً – هذا ولو رجعت إليه كرةً أخرى لرأيتك منه بإزاء معنىً جديدٍ غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة وكذلك . . حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدة . كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هي فصٌ من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً ، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع . ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت . وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كلٌ منه ما يُسِّرَ له ، بل ترى محيطاً مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال " [٨٧] و" لا يسأم منه تاليه مع تكراره وتواليه ، ولا يملّه واعيه ، بل تتوفر على توقيره دواعيه، في كل حين تظهر فيه قضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلف غير ما جادت به فطن السلف . كل حرف منه تتفجر به ينابيع الحكمة ، وكل كلمة تمطر منها سحائب الرضوان والرحمة ، وكل آية تحتوي على بحارٍ من الإعجاز زواخر ، وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الأوائل والأواخر.."[٨٨] . ويؤكد هذه الحقيقة ، حقيقة (تجاوز الدلالة الموضوعية في القرآن حدود دلالة الألفاظ والعبارات) ما يلي :

١-قول علي كـرّم الله وجهه : " لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب "[٨٩] فمن أين لعلي بذلك ، وألفاظ الفاتحة محدودة ، وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار ؟!

٢-ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنما بعضهم وجد في نفسه فقال : لِمَ تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليريهم . قال: ما تقولون في قوله تعالى "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ " فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا قال فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال . إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً .فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول " [٩٠] فمن أين لعمر وابن عباس رضي الله عنهما بهذا المعنى وألفاظ السورة وعباراتها لا تدل على ذلك ؟! إنه معنىً أوحى به النص من خلال ألفاظه وعباراته . فهو استنباطٌ من روح النص لا من صورته .

٣-ومثل هذا ما روي أنه لما نزل قوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً "[٩١] فرح الصحابة وبكى عمر رضي الله عنه وقال : ما بعد الكمال إلا النقص مستشعراً نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اخرج ابن أبي شيبة عن عنترة " أن عمر رضي الله عنه لما نزلت الآية بكى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قال : أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام صدقت " [٩٢] فمن أين لعمر بذلك المعنى وليس في ألفاظ الآية ما يدل على ذلك ؟!

٤-الدلالات العلمية التي يشير إليها النص القرآني في شتى العلوم الكونية والطبعية الحديثة والتي أصبحت السمة البارزة على جديد التفسير في عصرنا الحاضر ، فإنها لا تستفاد من ألفاظ النص وعباراته ، وليس فيها ما يدل عليها غالباً ، وإنما يوحي بها النص من خلالها ، وتفهم من وراء حدودها . [٩٣] مثل قوله تعالى : " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ " [٩٤] فإن فيه دلالة علمية لم يتم التعرف عليها واستنباطها إلا حديثاً وهي (تناقص كمية الأوكسجين كلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض "[٩٥] ، وليس في ألفاظ الآية ما يدل على هذه الحقيقة العلمية ، وإنما تمَّ استيحاؤها من خلالها ، وذلك بالربط بين ضيق الصدر وحرجه ، وبين التصعّد في السماء في ضوء المعطيات العلمية الحديثة المتعلقة بهذه الحقيقة نتج عنه تجلّي هذه الدلالة حتى بدت كأنها من تصريحات الألفاظ، وليست من إيحاءاتها .

المقصود بالتعدد الدلالي الموضوعي في القرآن :

وبهذا يتبين أن المقصود بالتعدد الدلالي في القرآن ليس تلك الدلالات التي تتعدد تبعاً لتعدد محدداتها: من لغوية ، ونحوية ، وصرفية ، وبلاغية ، وسياقية .. كما مر معنا .ولا تلك الدلالات والموضوعات المتعددة والمتنوعة التي تمَّ استنباطها من قبل . ليس هذا ولا ذاك هو المقصود بتعدد الدلالة

الموضوعية في القرآن كخاصية قرآنية إعجازية ، إذ لا وجه للإعجاز في هذا التعدد ، وليس فيه ما يميز القرآن عن غيره من الكلام كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

إنما المقصود به – كما علمت – ذلك التعدد الدلالي الموضوعي المتجدد في كل عصر ووقت ، حيث تتكرر ظاهرة تعدد دلالة النص القرآني ، فيستنبط منه في كل عصر ووقت عدد من الدلالات ، ويدل على عدد من الموضوعات غير تلك التي دل عليها وتمَّ استنباطها في عصر أو وقت سابق ... وهكذا حتى يرث ا لله الأرض ومن عليها .

أدلة هذه الحقيقة : وهذا ما يشير إليه القرآن في كثير من آياته منها :

- قوله تعالى : " قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً " [٩٦]

فإن المقصود (بكلمات ربي) : كلمات القرآن ، وبعدم نفادها : عدم نفاد معانيها . يقول الإمام الشوكاني رابطاً هذه الآية بما قبلها : " لما ذكر سبحانه أنواع الدلائل نبه على كمال القرآن فقال (لو كان البحر مداداً لكلمات ربي) "[٩٧] فدل ذلك على أن المقصود (بكلمات ربي) : كلمات القرآن ، ويقول الشيخ الصاوي عند تفسيره لقوله تعالى (لكلمات ربي) : " أي النفسية القائمة بذاته ، ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ، ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها "[٩٨]

ويؤكدهذا قول الراغب رحمه الله : " و جعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة حجمه متضمنٌ للمعنى الجم بحيث تقصر الألباب البشرية عن إحصائه ، والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله : " ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله " [٩٩] [١٠٠] .

وبهذا المعنى تكون الآية دليلاً على تعدد دلالة النص القرآني وتجدد معانيه وموضوعاته وعلومه ومعارفه ، حيث وصفت كلماته بديمومة تدفق معانيها واستحالة انتهائها المستفادة من قوله تعالى (لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي) فإنه مثلٌ ضربه الله لبيان استحالة انتهاء معاني القرآن في الدنيا كاستحالة تحوّل البحار إلى حبر والكتابة بهذا الحبر حتى ينتهي ، وليس غايةً تنتهي عندها ظاهرة تعدد معاني القرآن وتجددها، وهذا مثل قوله تعالى في مآل الكافرين : " وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ " [١٠١] فإن الغاية المعبَّرعنها (بحتى) وما يقع في حيزها ، لا مفهوم لها، ولا تقبل التحقق ، وليست حداً ينتهي عنده نفي دخول الكفار الجنة ويبدأ احتمال دخولهم ، وإنما هي مثلٌ ضربه الله لتأكيد ذلك النفي ، وإثبات استحالة دخولهم الجنة كاستحالة دخول الجمل على عظم خلقته عين الإبرة على ضيق مسلكها [١٠٢] ، وذلك على قاعدة القرآن في التعبير عن المعنى الذهني بالصورة الحسية [١٠٣] زيادة في التوضيح والترسيخ .

ويدل على صحة هذا المعنى ثلاثة أمور :

الأول : وصف الله للقرآن في كثير من آياته بأنه كلام الله ، من ذلك :

- قوله تعالى : " وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ "[١٠٤]
- وقوله تعالى : " واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته " [١٠٥]

- وقوله تعالى : " فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته "[١٠٦]

الثاني : إجماع العلماء عدا المعتزلة على أن كلمات الله الأزلية النفسية القائمة بذاته المتعلقة بمعلوماته غير متناهية . يقول الشوكاني : " والحق أن كلمات الله تابعة لمعلوماته ، وهي غير متناهية ، فالكلمات غير متناهية " [١٠٧] . ويقول الشيخ السعدي : " وأما كلام الله فهو من جملة صفاته وصفاته غير مخلوقة ولا لها حدّ ولا منتهى " [١٠٨] ويقول ابن عاشور : " وأما نفاد كلمات الله بمعنى متعلقات علمه فمستحيل "[١٠٩]

الثالث : جواب الشرط المقيد بالظرف (قبل) الذي يفيد إمكانية نفاد كلمات الله . وكلمات الله – كما علمت – لا تنفذ ، فدل ذلك على أن المقصود بها : كلمات القرآن ، وبعدم نفادها :عدم نفاد معانيها ، لاحتمال نفادها بنفاد الحياة ، فبانتهاء الحياة تنتهي حاجة الناس في الدنيا إلى معانيه ، أما عدم اعتبار بعض المفسرين لهذا المعنى الذي يفيده جواب الشرط وتفسيره بتفسيرات مغايرة ، أو اعتباره عند بعضهم واعتماده دليلاً على تناهي كلمات الله الأزلية ، وبالتالي على عدم قدمها كما هو الحال عند المعتزلة ، وكما يقول شيخهم الجبائي : " وما ثبت عدمه امتنع قدمه " [١١٠] ، فإنه تفسير بما يتناسب مع عقائد المتكلم لا بما يتناسب مع قواعد الكلام ، يستوي في ذلك من اعتبره ، ومن لم يعتبره .

– وقوله تعالى : " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ " [١١١] ، فإن المقصود بلفظ (الأمر) الوارد بصيغة التنكير : المعنى العام الذي يتناوله بلفظه وصيغته " [١١٢] ، وإن بيِّن (بالأمن والخوف) فإنه بيان توضيح ، وليس بيان تخصيص كما يقول الفخر الرازي : " إن قوله (وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن والخوف) عام في كل ما يتعلق بالحروب وفيما يتعلق بسائر الوقائع الشرعية ، لأن الأمن والخوف حاصل في كل ما يتعلق بباب التكليف ، فثبت أن ليس في الآية ما يوجب تخصيصها بأمر الحروب "[١١٣].

فالأمن والخوف إذاً : لفظان عامان يدلان على كل أمر يتعلق بهما ، وهذا ما تفيده (أل)الاستغراقية المقرونة بهما . وعند إعمال العقل في تصور مفهوم (الأمن والخوف) واقعياً نجده يختزل النشاط الإنساني كله بأنواعه المختلفة بلا استثناء ، فإن ما يقوم به الإنسان ، إماّ أن يكون من باب الأمن ، وإما أن يكون من باب الخوف . فهما كالكناية عن الخير والشر ، وإلى الخير والشر يرجع فعل الإنسان ونشاطه ولا يخرج عنهما .

فموضوع النصر من الأمن ، وموضوع الهزيمة من الخوف ، وازدهار الاقتصاد من الأمن ، وانهياره من الخوف ، والغنى من الأمن ، والفقر من الخوف ، وموضوع الوحدة من الأمن ، وموضوع التفرق من الخوف، والاهتمام ببناء الإنسان من الأمن ، وإهماله من الخوف ، والطاعة من الأمن ، والمعصية من الخوف .. وهكذا يتسع المعنى بما يتناسب مع المبنى حتى يشمل كل ماله علاقة بالأمن والخوف على مرور الزمن ، فقد بينت الآية أن هذه الدلالة العامة المستفادة من التنكير في لفظ (أمر) ومن (أل) الاستغراقية في لفظي (الأمن ، والخوف) غير مقيدة بزمن ، وأن زمنها مفتوح يمتد بها إلى قيام الساعة وهذا ما تدل عليه (إذا) الظرفية ، فإنها ظرف لاستغراق الزمن في المستقبل [١١٤] وكذلك الفعل المضارع (يستنبطونه) ، فإنه يدل على الحدوث والتجدد . [١١٥]

فوقوع العموم في حيِّز المستقبل مظنة لتجدد أفراده ، وعدم ثباته على مادل عليه من تعددٍ في عصر ما ، لأن استمرار الزمن المستفاد من الصيغ الزمانية السابقة يصاحبه – حتماً تغيرٌ مستمرٌ في حاجات الناس ومصالحهم وأساليب حياتهم بشكل مطرد ، والتوجيه برده إلى الله المستفاد من الرد إلى الرسول على اعتبار أن الرد إلى الرسول ردٌإلى الله على الحقيقة [١١٦] وهذا يقتضي – بالضرورة – اطراد تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية للنص القرآني في مواجهة ذلك التغيُّر والتعدد المطرد في حاجات الناس ومصالحهم في كل زمان وفي كل مكان ، وهذا مايفيده الفعل المضارع (يستنبطونه) .

فالآية بمجموع صيغها الزمانية الدالة على المستقبل ، وبمجموع ألفاظها الدالة على العموم تدل على تعدد دلالة النص القرآني وتجدد معانيه وموضوعاته ، وعلومه ومعارفه باستمرار وبلا تناهي .

وعلى هذا الأساس يكون معنى الآية : أنه ما من أمر من أمور الخير والشر ، أو الأمن والخوف مما يحتاج إليه الناس في دينهم ودنياهم ، ومعاشهم ومعادهم إلا وفي كتاب الله علمه وفيه حكمه مهما طال الزمن وتمدد ، ومهما تنوع الحدث وتعدد .

-وقوله تعالى : " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " [١١٧]

-وقوله تعالى : " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ" [١١٨] فإن لفظ (شيء)في الآيتين يدل على العموم ، وذلك من ثلاث جهات :

الأولى : من جهة اللفظ . فإنه اسم يصدق على كل شيء ، ويصح إطلاقه على أي شيء .

الثانية : من جهة الصيغة . فقد ورد بصيغة التنكير ، " والنكرة اسم شائع في أفراد جنسه لا يختص به واحدٌ دون غيره ؟ [١١٩] وفيه معنى العموم .

الثالثة : من جهة السياق . فقد ورد في الآية الأولى في سياق الشرط ، والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم [١٢٠] وورد في الآية الثانية متضايفاً مع (كل) المفيد للعموم ، و " المضاف مع المضاف إليه بمنزلة كلمة واحدة [١٢١] ، و " المتضايفان يكونان معاً في الوجود والعقل " [١٢٢] وهذا يدل على الشمولية الموضوعية للتنازع وعلى تعددها وتنوعها . والأمر برده إلى القرآن يقضي بتعدد وشمولية وتنوع دلالته وموضوعاته في مواجهة شمولية وتعدد وتنوع موضوعات التنازع الذي يؤكده شمول البيان في الآية الثانية في قوله تعالى (تبياناً لكل شيءٍ) ، وتأكيداً لذلك يقول الشوكاني في تفسيره لقوله تعالى (فإن تنازعتم في شيء) : " وظاهر قوله (في شيء) يتناول أمور الدين والدنيا " [١٢٣] ، ويقول ابن عاشور : " ولفظ (شيء) نكرة متوغلة في الإبهام ، فهو في حيِّز الشرط يفيد العموم أي في كل شيء .. وعموم لفظ شيء في سياق الشرط يقتضي عموم الأمر بالرد إلى الله والرسول ، وعموم أحوال التنازع تبعاً لعموم الأشياء المتنازع فيها " [١٢٤]

ويقول ابن كثير في قوله تعالى (تبياناً لكل شيء) : " قال ابن مسعود : قد بين لنا في هذا القرآن كل علمٍ وكل شيءٍ ، وقال مجاهد : كل حلال وكل حرام ، وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على كل علمٍ نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم

ودينهم ومعاشهم ومعادهم " [١٢٥] ويقول ابن عاشور : " و (كل شيءٍ) يفيد العموم ، إلا أنه عمومٌ عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع : من إصلاح النفوس ، وإكمال الأخلاق ، وتقويم المجتمع المدني وتبيين الحقوق وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوحدانية وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية ، والدقائق الكونية ، ووصف أحوال الأمم ، وأسباب فلاحها وخسارها ، والمواعظ بآثارها بشواهد التاريخ ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم . وفي خلال ذلك كله أسرارٌ ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأن تكون بياناً لكل شيءٍ علو وجه العموم الحقيقي"[١٢٦].

فهذا العموم المستفاد من كلمة (شيء) لفظاً وصيغةً وسياقاً في الآيتين يدل على التعدد المطلق للدلالة الموضوعية في القرآن وعلى تنوعها ، وذلك لعدم انضباط أفراده وانحصار أعداده ، فهو عموم مطلق مفتوح ، ومتجدد على مرور الزمن ، لأن وقوعه في حيِّز الشرط الدال على الاستقبال [١٢٧] كما في الآية الأولى ، وعدم تقيده بزمن كما في الآية الثانية – وإن كان المصدر (تبياناً) يعمل عمل الفعل المضارع المقدر مع (أن)[١٢٨] المفيد للحدوث والتجدد – يدل على أنه واقع في حيز المستقبل ، أي أن زمنه مفتوح لا نهائي يمتد به إلى قيام الساعة .وهذا يدل على تجدد ولا نهائية الدلالة الموضوعية في القرآن ، لأن استمرار الزمن الذي يقع العموم في حيزه وما يصاحبه – حتماً – من تغير وتجدد لمصالح الناس وحاجاتهم مظنةٌ لذلك . والآيتان بألفاظهما العمومية وصيغهما الزمانية تدلان على تعدد دلالة النص القرآني وتجدد معانية وموضوعاته ، وعلومه ومعارفه على مدى الزمن .

وعلى هذا الأساس يكون معنى الآية الأولى : أنه ما من تنازع ولا اختلاف يقع بين الناس في عصر من العصور أو وقت من الأوقات ، وفي أي أمر من الأمور أو موضوع من الموضوعات في أي مجال من المجالات سواء كان فكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً ... إلخ إلا وفي القرآن علمه وحكمه .

ويكون معنى الآية الثانية : أنه ما من أمر من الأمور ، ولا موضوع من الموضوعات في أي مجال من المجالات يحدث في أي عصر من العصور أو وقت من الأوقات إلا و قد تضمن القرآن بيان علمه وحكمه .

وهناك العديد من الآيات الدالة على هذه الحقيقة (تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية في القرآن) سوف أورد بعضها مكتفياً بتحليل الآيات السابقة خشية الإطالة .

ومن هذه الآيات :

-قوله تعالى : " مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[١٢٩]

-وقوله تعالى : " وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً " [١٣٠]

-وكذلك الآيات التي تصف القرآن بالنور ، والهداية ، والرحمة والشفاء ، وغير ذلك مثل قوله تعالى : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " [١٣١] فالآيات في جملتها تدل على أمرين:

الأول : عموم البيان ، والعلم ، والهداية ، وما في معنى ذلك مما يتصف به القرآن .

الثاني : أن هذا العموم غير محدد بمعيَّن ولا مقيد بزمن ، وإنما يقع في حيّز المستقبل .أي : أن هذا البيان والعلم والهداية عامٌّ يشمل كل شيء في كل عصر وفي كل وقت ، وهذا مظنة لتعدد الدلالة الموضوعية في القرآن وتجددها واستمرارها ، ودلالةٌ عليه .

- وكذلك تسمية القرآن بـ (القرآن) في كثير من الآيات ، منها :

قوله تعالى : " وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ " (١٣٢)

وقوله تعالى : " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا " (١٣٣)

فإن في تسميته بذلك دلالةً على تعدد دلالة النص القرآني وتجددها .

فالقرآن : مصدر قرأ يقرأ قراءةً . (١٣٤) فهو إذاً قراءة ، أي أنه قارئ كما هو مقروء ، وهذا ما يدل عليه سياقه الذي ورد فيه في الآيتين بالإضافة إلى لفظه ، فإنهما يدلان على أن القرآن يقرأ كل شيء ، أو يقدم قراءةً لكل شيء ، أو يُقرأ (بصيغة المبني للمجهول) فيه كل شيء في كل زمان وفي كل مكان كما تدل على ذلك الآيات السابقة ، وغيرها من الآيات التي يطول تتبعها .

-وهناك الكثير من الأحاديث والآثار التي تؤكد هذه الحقيقة القرآنية من ذلك :

-ما روي عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ألا إنها ستكون فتنٌ فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله : فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجبا . يهدي إلى الرشد) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم " (١٣٥)

-وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يُعْوَجُّ فَيُقَوَّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد " (١٣٦)

- وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لكل آية ظهرٌ وبطن ، وحد ومطلع "(١٣٧)

- وقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : " القرآن حمّال ذو وجوه "(١٣٨)

-وقول ابن عباس رضي الله عنهما : " إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته " (١٣٩)

-وقول ابن مسعود رضي الله عنه :" من أراد علم الأولين والآخرين فليثوِّر القرآن " (١٤٠)

-وقول أبي الدرداء رضي الله عنه : " لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً " (١٤١)

-وقال بعض العلماء : " لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر " (١٤٢). فهذه الأحاديث والآثار في جملتها قد وصفت القرآن بأوصاف تدل على تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية للنص القرآني منها : أنه لا

تنقضي عجائبه ، ولا يبلى على كثرة الرد ، ولايشبع منه العلماء ، وان فيه خبر ما كان وما سيكون ، وعلم الأولين والأخرين ... الخ ، وهي كما ترى أوصاف لايمكن أن تتحقق في القرآن ، وأن تصدق عليه إلا إذا كانت دلالته متعددة ومتجددة على مرور الزمن .

حتمية تعدد وتجدد الدلالة في القرآن

وكما أكد النقل هذه الحقيقة كخاصية قرآنية إعجازية ، فإن العقل يؤكدها كحتمية منهجية تقتضيها الطبيعة المنهجية للقرآن القائمة على ثلاثة أبعاد معلومة من الدين بالضرورة .

الأول : البعد الزمني . ممثلاً في أبدية مرجعيته الدستورية والتشريعية التي يشير إليها قوله تعالى : "ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (١٤٣) وقوله تعالى " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً "(١٤٤)

فإن ختم الشرائع والرسالات ،وإكمال الدين بإرسال محمد ونزول القرآن يوحي بأبدية مرجعيته . (١٤٥)

الثاني : البعد الإنساني . فمثلاً في عمومية خطابه للناس كافة ، وإلى ذلك يشير

قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً " (١٤٦) ، وقوله تعالى : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً " (١٤٧)

الثالث : البعد التشريعي . ممثلاً في شمولية تشريعاته لكل ما يحتاج إليه الناس ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيءٍ " (١٤٨)

وقوله تعالى : " ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء "(١٤٩)

فإذا كانت هذه هي الطبيعة المنهجية للقرآن ، وطبيعة حاجات الناس ومصالحهم متعددة ومتجددة ومتغيرة في كل زمان وفي كل مكان ، فإن العقل يقضي بحتمية وضرورة تعدد وتجدد دلالة القرآن وموضوعاته في مواجهة تعدد وتجدد حاجات الناس ومصالحهم في كل زمان ومكان .

وإلا فلا يصح أن يكون مرجعية تشريعية أبدية عامة وشاملة . فدل ذلك – بطريق العقل – على تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية في القرآن .

والأمثلة الآتية تزيد هذه الحقيقة تأكيداً وتوضيحاً :

١-قال تعالى : {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (١٥٠)

يقول الدكتور حامد القنيبي : " لقد كان أسلافنا يتلون هذه الآية فلا يعنيهم منها إلا قوله : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة " إذ كان ذلك هو القدر المنطبق على واقع حياتهم فيما تقصد إليه الآية من الحديث عن وسائل ركوب الإنسان ، وما في ذلك من نعمة الله عليه ، فإذا قرءوا الجملة التي تليها وهي : (ويخلق ما لا تعلمون) تاهوا بين تأويلات وتفسيرات مختلفة :

-ففي تفسير الخازن نقرأ " لما ذكر سبحانه وتعالى المخلوقات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعد ما لا ينتفع به الإنسان ، في الغالب على سبيل الإجمال ، لأن

مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه ، فلهذا ذكرها على الإجمال .

-وقال بعضهم (ويخلق ما لا تعلمون) يعني مما أعد الله لأهل الجنة في الجنة ، ولأهل النار في النار مما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . (١٥١)

-وقال قتادة في قوله (ويخلق ما لا تعلمون) يعني السُّوس في النبات والدود في الفواكه " (١٥٢) ولكن إذا تلا هذه الآية إنسان عصرنا فقد يرى أن المراد بها هذه الوسائل الحديثة الأخرى التي أضيفت إلى الوسائل السابقة .. والآية خطاب لأهل العصور المتتالية كلها ، ففي (ويخلق ما لا تعلمون) . تعقيب على خلف الأنعام للأكل والحمل والجمال ، وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة ، ليضل المجال مفتوحاً في التصور البشري لتقبل أنماطٍ جديدة من أدوات الحمل والنقل والركوب والزينة ، فلا يغلق تصورهم خارج حدود البيئة وخارج حدود الزمان" (١٥٣)

٢- وقوله تعالى (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً{١٥} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً){١٦} (١٥٤)

يقول الرافعي : " فهذه الآية سمعها العرب ، فبعضهم يفهم من نسقها أن القمر نورٌ، والشمس نور ، ولكن اختلف اللفظان ليكون في ذلك تنويع بليغ ، ويعلو أخر عن هذه المنزلة فيفهم أن القمر أضعف نوراً من الشمس لأن هذه عبر عنها بالسراج ، ولفظ السراج يحضر في النفس شعاعه المتقد فكأنه نورٌ منبعث من نار ، ويدقق بعضهم فيرى أن الغرض هو التعبير عن الشمس بأنها تجمع إلى النور والحرارة ولذلك فائدة في الحياة ولهذه فائدة أخرى ، والنور نفسه لا تكاد تُحَسُّ فيه بالحرارة ، بل تحس في السراج ووهجه ، وكأن المفسرين لم يعتدوا المنزلة الثانية ولم يفطنوا حتى ولا للثالثة ... ثم يفهم أهل القلوب الحديثة مع كل هذه الوجوه أن المراد من الآية إثبات ما كشفته هذه العلوم ، من أن القمر جرمٌ مُظْلِمٌ ، وإنما يضيء بما ينعكس عليه من نور الشمس التي هي (سراجه) إذ النور لا يكون من ذات نفسه ابتداءً ، ولا بدله من مصدر يبعثه ، فذِكرُ السراج بعد النور دليلٌ على أن هذا مصدر ذلك .

فتأمل أيمكن أن يكون هذا في طاقة رجل من العرب منذ (أربعة عشر قرناً) ف يتلك الجزيرة؟ وإذا كان في طاقته وكان ينظر إلى المعنى العلمي – مع أن هذا المعنى لم يعرفه المفسرون في استبحار التمدن الإسلامي – فهل كانت تجيء العبارة إلا على الأصل الذي في نفسه فتخرج صريحةً في المعنى كما هي طبيعة الكلام الإنساني ؟! إن بين الآية وبين كلام الناس كالفرق بين نبي يوحى إليه وبين معلم الجغرافيا .... " (١٥٥)

٣- وقوله تعالى : " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ " . (١٥٦)

فقد وجدتني من غير قصدٍ قد استشهدت بهذه الآيات في عدة موضوعات :

في موضوع انفتاح العقلية الإسلامية (١٥٧) ، وموضوع البناء الإبداعي في القرآن (١٥٨) ، وموضوعنا هذا

(تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية في القرآن) . وفيها بالإضافة إلى ذلك دلالة على أهمية القراءة ومكانتها في الإسلام وضرورة تعلمها ، وعلى طلب العلم ، وعلى موضوع الانفتاح على الأخر والتعايش معه ، وموضوع القراءة العامة للكون والإنسان والحياة ، ويمكن أن تدل على موضوعات أخرى لا حدود لها ، وهذا ما يحسّ به المرء كلما تأملها وتدبرها ، حيث تتوارد عليه من المعاني والدلالات التي توحي بها في تسابق وتزاحم لا يستطيع معه حصرها ولا ترتيبها ، فتتلاطم في عقله تلاطم الأمواج ، وتزدحم في ذهنه ازدحام الأضداد والأنداد ، فيضيق بها ، ويضطرب لها اضطراباً لا ينقذه منه إلا تدخل العناية الإلهية بانقطاع حبل أفكاره فجأة رحمةً به ودلالة على أن ما تحتويه من معانٍ تفوق قدرة احتمال العقل وطاقته الاستيعابية وقوته الادراكية . وهذا ينطبق على سائر آيات القرآن في كل زمان وفي كل مكان .

أسباب تعدد وتجدد الدلالة الموضوعية في القرآن :

وترجع أسباب ذلك إلى الطبيعة الروحية لأصل القرآن ومصدره ، فإن القرآن روح من روح الله قال تعالى : " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا ... " [١٥٩] فالقرآن كله روحٌ ، وليست هذه الألفاظ والنظم إلا تجليات لتكل الروح ، وإلا مطالع تطلع منها ، ومنازل تنزل فيها " [١٦٠]

والروح بطبيعتها خالدة لا تموت [١٦١] ، وهذا يعني أن القرآن كائن [١٦٢] حيّ حياة أبديةً ، وهذه الحياة الأبدية إنما تتحقق بتجدد معانيه ، وتتصور في ضوئه ، وهذا على عكس غيره من الكلام ، فإنه لا حياة فيه ، لأن الكلام بعد انفصاله عن اللسان ، وتعبيره عن المعنى المكنون بالجنان والذي من أجله تمت صياغته ، يصبح في حكم الميت أو ميتاً بالفعل ، ويزداد موتاً مع تقادم الزمان ، على العكس منه في القرآن ، فإنه يزداد مع مرور الوقت وتقدم العلم حياةً وحيوية ، وغزارةً معنوية ودلالية ، مع طلاوة وحلاوة ، ونضارة وطراوة غير متناهية .

ويؤكد خلود القرآن وأبدية حياته وحيويته هذه ، أنه صفة ذاتية لله الحي الدائم الذي لا يموت .

وإذا كانت الذات خالدةً فإن صفتها خالدةٌ تبعاً لها ، أي أن القرآن خالد خلود صاحبه وقائله سبحانه وتعالى، وخلود القرآن إنما يتحقق – كما قلنا – بتجدد معانيه ، فلا خلود مع جمود ، ولا حياة مع ثبات ، وهذا يعني أن حياة القرآن وخلوده يكمن في معانيه وليس في ألفاظه ، لأن ألفاظه محدودة ومعدودة [١٦٣] وثابتة لا تتجدد ولا تقبل التجديد ، وإنما حياة اللفظ في تجدد معانيه ، فإن لم تتجدد معانيه فهو ميتٌ كما هو حاله في كلام الناس ، وهذا من الفروق الملموسة بين كلام الله وكلام غيره .

أما الأسباب الموضوعية والعلمية فمن الصعوبة وربما من غير الممكن معرفتها ، والبحث عنها لا طائل من ورائه ، ولا أظن لها وجوداً ولا أثراً في هذه الخاصية أو في غيرها من الخصائص ووجوه الإعجاز ، لأنه لو كانت علّة الإعجاز والتميز موضوعيةً وعلميةً – بالمعايير المتعارف عليها بين الناس – لعرفها الباحثون وأرباب الفصاحة السابقون ، وإذا عرفت بطل الإعجاز وانتهى التحدي ، لأن ما يمكن علمه ربما يمكن فعله ،

بينما الواقع يؤكد أن القرآن ما زال يتحدي ، وسيضل ، ووجوه إعجازه ما زالت في تزايد مستمر ، فدل ذلك على أن السبب يرجع إلى ما ذكرناه آنفاً ، من كونه روحاً من الله وصفةً ذاتية له ، فمن المسلمات المنطقية ، والبدهيات العقلية أن الكلام صفة للمتكلم يعكس قدراته وملكاته المختلفة : من علم ، وفهم ، وحكمة ، وفصاحة وغيرها ، ولهذا قالوا : " المرء مخبوء تحت لسانه "[١٦٤] فإن تكلم عرف ، والقرآن كلام الله ، فهو صفة له يعكس إحاطة علمه ودقة حكمته وسعة سمعه وبصره وشمول قدرته .

فإذا كانت هذه هي طبيعة القرآن فأي أسباب موضوعية أو علميه – يا ترى – يمكن لها أن تُسبِّب إحاطة علم الله ، ودقة حكمته وسعه سمعه وبصره ، وشمول قدرته ...؟!

إن استحالة معرفة أسباب (تعدد وتجدد دلالة كلام الله) كاستحالة معرفة أسباب إحاطة علمه ، ودقة حكمته ، وسعة رؤيته وسمعه ، وشمول قدرته ، والفرق بينه وبين غيره من الكلام كالفرق بين الخالق والمخلوق من كلِّ الوجوه ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه " [١٦٥]

فكما أن سمع الله وبصره وعلمه ليس كسمعهم وبصرهم وعلمهم ، فإن كلامه – أيضاً – ليس ككلامهم ، والفرق بينهما هنا كالفرق بينهما هناك .

وبهذا يمكن أن نغلق باب الطمع في الوقوف على جهة الإعجاز والتميز في القرآن ، ونفتح – في المقابل – الباب على مصراعيه للبحث في وجوه إعجازه التي لا تنتهي .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الهوامـش

١ – كتاب التوحيد للصف الأول الإعدادي بالجمهورية اليمنية للشيخ عبد المجيد الزنداني . ص ٦٢ .

٢ – ذكره البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٣٤) ١ / ١٥٦ ، والقاضي عياض في الشفاء . ص ١٥٧ . وابن هشام في سيرته ١/ ٢٧٠ ، وابن كثير في تفسيره ٤ / ٢٩ .

٣ – لسان العرب لابن منظور ، مادة (غدق) ١٠/ ٢٤ ، ٢٥ .

٤ – أخرجه الترمذي في السنن من حديث علي رضي الله عنه برقم (٢٩٠٦) ٥ / ١٧٢ .

٥ – الكهف : ١٠٩ .

٦ – انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ١ / ١٦٧ ، وفيض القدير للمناوي ٢ / ٢٥٥ .

٧ – انظر التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي ابتداءً من ص ١٤٠ ، وعلم التفسير أصوله وقواعده = للدكتور خليل الكبيسي ، ابتداء من ص ٤٠ إلى نهاية الفصل الثالث .

٨ – الفروق في اللغة . ص ١٩ .

٩ – التعريفات . ص ١٣٩ .

١٠ – سبأ : ١٤ .

١١ – مفردات غريب القرآن . ص ٤٧٩ .

١٢ – أنظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . مادة (دلَّ) ص ٣٢٠ .

١٣ – سبأ : ١٤ .

١٤ – طه : ١٢٠ .

١٥ – الفرقان : ٤٥ .

١٦ – الفروق في اللغة . ص ٥٩ .

١٧ – الموافقات ٢ / ٤٤ .

١٨ – النقد الأدبي الحديث . ص ٣٧ .

١٩ – الإبهاج شرح المنهاج ١/ ٢٠٤ .

٢٠ – علم أصول الفقه الإسلامي . د / حامد محمود اسماعيل . ص ٣٩٢ .

٢١ – علم أصول الفقه . عبد الوهاب خلاف . ص ١٤٣ .

٢٢ – انظر : المرجع السابق . ص ١٤٣ – ١٥٣ ، وما قبل السابق ص ٤٣٢ – ٤٥٧ .

٢٣ – التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق . د / صلاح الخالدي .ص ٢٩ .

٢٤ – انظر : القواعد الأساسية للغة العربية . السيد أحمد الهاشمي .ص ٢٨١، ٢٨٢ .

٢٥ – التعريفات . ص ٣٠٥ .

٢٦ – الأنبياء : ٤٧ .

٢٧ – أنظر : المدخل إلى التفسير الموضوعي . د / عبد الستار فتح الله السعيد .ص ٢٢ .

٢٨ – النبوات . ص ٢٩٢ .

٢٩ – الإبهاج شرح المنهاج للسبكي . ص ٢٠٤ .

٣٠ – الدكتور عبد الكريم نوفان عبيدات . الدلالة العقلية في القرآن . ص ٣٨٣ – ٣٩٣ .

٣١ – النبأ العظيم . ص ١٠٧ .

٣٢ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢١٨ .

٣٣ – المصدر السابق ص ٢٢٨ .

٣٤ – دفاع عن القرآن الكريم .ص ١١٠ بتصرف .

٣٥ – أنظر : الخصائص لابن جني ، وفقه اللغة للثعالبي ،والمزهر للسيوطي ، وعلم الدلالة دراسة وتطبيقاً للدكتور نور الهدى لوشن ، وعلم الدلالة بين النظرية والتطبيق للدكتور أحمد نعيم الكراعني ، = وعلم الدلالة إطار جديد . ف . ر . بالمر . ترجمة صبري إبراهيم السيد .

٣٦ – التنوعات اللغوية . ص ٣٤١ .

٣٧ – الخصائص ٢/ ١١٥ .

٣٨ – العين لها معان متعددة منها : الباصرة ، وحرف الهجاء ، وخيار الشيء ، والجاسوس ، وجريان الماء.= والجون : النبات يضرب إلى السواد من خضرته ، والأبيض ، والأسود = واللون : ما فصل بين الشيء وبين غيره ، والنوع ، وهيئته كالسواد ، والدقل من النخل . أ هـ = المزهر للسيوطي . هامش (١) ١/ ٣٧ .

٣٩ – تَكَرَّجَ الخبز : فسد و عَلَتْهُ خُضْرَةٌ . أ هـ . المزهر للسيوطي هامش (٢) ١/ ٣٧ .

٤٠ – المزهر في علوم اللغة ١/ ٣٧ .

٤١ – إعلام الموقعين ١/ ٣٥٠، ٣٥١ .

٤٢ – دلائل الإعجاز . ص ٩٨ .

٤٣ – المرجع السابق . ص ٩٠ .

٤٤ – المرجع السابق . ص ١١٧ ، ١١٨ .

٤٥ – أنظر : الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي . ص ٦٩ .

٤٦ – علم الدلالة والمعجم العربي . د / عبد القادر أبو شريفه ، وحسين لافي ، ود / داود عطاشة . ص ٣٥ ، ٣٦ ، بتصرف .

٤٧ – الخصائص ٣/ ١٠١ .

٤٨ – ٢٥٨ .

٤٩ – علم الدلالة بين النظرية والتطبيق . ص ١٠٠ .

٥٠ – لسان العرب لابن منظور . مادة (سوق) ٦ / ٣٥ .

٥١ – الرسالة . ص ٦٢ .

٥٢ – الدخان : ٤٩ .

٥٣ – بدائع الفوائد ٤ / ٩، ١٠ .

٥٤ – في التشريع الإسلامي . د / أحمد خليل . ص ١٤٢.

٥٥ – علم أصول الفقه . عبد الوهاب خلاف . ص ١٤٣ .

٥٦ – الموافقات ٢ / ٤٤ .

٥٧ – الإبهاج شرح المنهاج ١/ ٢٠٤ .

٥٨ – الخصائص ٣/ ٥٨ .

٥٩ – البقرة : ٥ .

٦٠ – آل عمران : ٧٣ .

٦١ – مريم : ٧٦ .

٦٢ – الرعد : ٧ .

٦٣ – البقرة : ٣٨ .

٦٤ – النحل : ١٦ .

٦٥ – الفاتحة : ٦ .

٦٦ – النجم : ٢٣ .

٦٧ – غافر : ٥٣ .

٦٨ – البقرة : ١٥٧ .

٦٩ – السورة السابقة : ٢٥٨ .

٧٠ – القصص : ٥٧ .

٧١ – الزخرف :٢٢ .

٧٢ – يوسف : ٥٢ .

٧٣ – طه : ٥١ .

٧٤ – الأعراف : ١٥٦ .

٧٥ – البقرة :١٥٩ .

٧٦ – نقلاً عن ا لبرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ١٠٣ .

٧٧ – البقرة : ٢١٢ .

٧٨ - النبأ العظيم . عبد الله دَراز . ص ١١٧ .

٧٩ - المرجع السابق .ص ١١٢ .

٨٠ - الجاثية : ٢١ .

٨١ - الكشاف ٣/ ٢٢٩ .

٨٢ - ﴿ الدلالة الوضعية هي دلالة المطابقة ﴾ أ هـ . المحصول للرازي ١/ ٢٩٩ . والوضع ﴿ تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني ﴾ أهـ . الإبهاج شرح المنهاج للسبكي ١/ ١٩٢ .

٨٣ - كما أكد ذلك التاج السبكي في جمع الجوامع وذكره السيوطي في المزهر ١/ ٤٠.

٨٤ - النبأ العظيم . ص ١١٧ .

٨٥ - إعجاز ا لقرآن والبلاغة النبوية . ص ٢٠١، ٢٠٢ .

٨٦ - المرج السابق . ص ٢٠١ .

٨٧ - النبأ العظيم . د / عبد الله دَراز ص ١١٧، ١١٨ .

٨٨ - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، لابن القيم الجوزية . ص ٣ ، ٤ .

٨٩ - ذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ١/ ٤٩، والغزالي في إحياء علوم الدين ٣/ ١٣٥ .

٩٠ - صحيح البخاري . باب التفسير ٦/ ١٧٩ .

٩١ - المائدة : ٣ .

٩٢ - ذكره الطبري في تفسيره (جامع البيان) ٤/ ٤١٧ ، والقرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ٦/ ٤٦. والألوسي في روح المعاني ٦/ ٦٠ .

٩٣ - أنظر : التفسير العلمي للقرآن في الميزان .أحمد عمر أبو حجر ، والإعجاز العلمي في القرآن د / زغلول النجار .

٩٤ - الأنعام : ١٢٥ .

٩٥ - كتاب التوحيد للصف الأول الإعدادي في الجمهورية اليمنية . للشيخ عبد المجيد الزنداني . ص ٦٥ .

٩٦ - الكهف : ١٠٩.

٩٧ - فتح القدير ٣/ ٣١٧ .

٩٨ - حاشية الصاوي .على الجلالين ٣ / ٣٠ .

٩٩ - لقمان : ٢٧ .

١٠٠ - مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني . ص ٥ .

١٠١ - الأعراف : ٤٠ .

١٠٢ - أنظر : روح المعاني للألوسي ٨/ ١٩ .

١٠٣ - أنظر : التصوير الفني في القرآن . سيد قطب .

١٠٤ - التوبة : ٦ .

١٠٥ - الكهف : ٢٥ .

١٠٦ - الأعراف : ١٥٨ .

١٠٧ - فتح القدير ٣/ ٣١٨ .

١٠٨ - تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٥/ ٤٣ .

١٠٩ - التحرير والتنوير ٨/ ٥٢ .

١١٠ - فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣١٨ .

١١١ – النساء : ٨٣ .

١١٢ – لأن كلاً منهما يدل على العموم . أما اللفظ : فهو بمعنى شيء ، وشيء مع تنكيره اسم يصدق على كل شيء . وأما صيغته : فقد ورد منكراً في حيز الشرط ، فدل ذلك على العموم .

١١٣ – مفاتيح الغيب ٥/ ١٥٩ .

١١٤ – مغني اللبيب لابن هشام ١/ ١٠٨ .

١١٥ – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك . محمد على الصبان ٢/ ٢٩٢ .

١١٦ – يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ النساء : ٨٠ . وانظر : زاد المهاجر لابن القيم . ص ٤١ .

١١٧ – النساء : ٥٩ .

١١٨ – النحل : ٨٩ .

١١٩ – القواعد الأساسية للغة العربية . السيد أحمد الهاشمي . ص ٧٧ .

١٢٠ – التحرير والتنوير لابن عاشور ٤/ ٩٩ .

١٢١ – أسرار العربية . أبو البركات الأنباري . ص ٥٠ .

١٢٢ – الإشارات والتنبيهات لابن سينا . ص ٢١٩ .

١٢٣ – فتح القدير ١/ ٤٨١ .

١٢٤ – التحرير والتنوير ٤/ ٩٩ ، ١٠٠ بتصرف .

١٢٥ – تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٣ .

١٢٦ – التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٣ .

١٢٧ – أنظر : حاشية الخضري ٢/ ١٢٢ .

١٢٨ – شرح ابن عقيل ٣ / ٩٣ .

١٢٩ – يوسف : ١١١ .

١٣٠ – الفرقان : ٣٣ .

١٣١ – الإسراء : ٩ .

١٣٢ – الروم : ٥٨ .

١٣٣ – الإسراء : ٤١ .

١٣٤ – مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . ص ٢٠ .

١٣٥ – أخرجه الترمذي في السنن برقم (٢٩٠٦) ٥/ ١٧٢ ، والدارمي في سننه برقم (٣٣٣١) ٢/ ٥٢٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٩٣٥) ٢/ ٣٢٥ ، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال برقم (٨٨٧) ١/ ٣١١ .

١٣٦ – أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود برقم (٢٠٤٠)١/ ٧٤١ ، والدارمي في سننه برقم (٣٣١٥) ٢/ ٥٢٣ .

١٣٧ – ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد برقم (١١٥٧٩)٧/ ٣١٦، عن ابن مسعود ، وكذلك المتقي الهندي في كنز العمال برقم (٣٠٨٦) ٢/ ٧١

١٣٨ – ذكره الشوكاني في فتح القدير ١/ ١٧ ، والسيوطي في الإتقان ١/ ١٤٣، وفي مفتاح الجنة . ص ٥٩ .

١٣٩ – ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١١٩٧ ، والألوسي في روح المعاني ١/ ٧ ، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٥٠ .

١٤٠ – مجمع الزوائد للهيثمي رقم (١١٦٦٧) ٧/ ٣٤٢ ، والمعجم الكبير للطبراني رقم (٨٦٦٦)٩/ ١٣٦ .

١٤١ – الكامل في الضعفاء لابن عدي ٢ / ٢٠٤ ، وذكره الغزالي في الإحياء ٣/ ١٣٥ .

١٤٢ – الإحياء للغزالي ٣/ ١٣٥، وروح المعاني للألوسي ١/ ٧ .

١٤٣ – الأحزاب : ٤٠ .

١٤٤ – المائدة : ٣ .

١٤٥ – أنظر : أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان . ص ٥٧ .

١٤٦ – سبأ : ٢٨ .

١٤٧ – الأعراف : ١٥٨.

١٤٨ – النحل : ٨٩ .

١٤٩ – يوسف : ١١١ .

١٥٠ – النحل : ٨ .

١٥١ – ذكره الطبري في تفسيره (جامع البيان عن تأويل القرآن) ٧/ ٥٦٢

١٥٢ – تفسر الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ٤ / ٨١ .

١٥٣ – المشاهد في القرآن الكريم . ص ٢٩١ ، ١٩٢ .

١٥٤ – نوح : ١٥ ، ١٦ .

١٥٥ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . هامش (١) ص ١، ٢ .

١٥٦ – العلق : ١– ٥ .

١٥٧ – العقلية اليهودية في القرآن الكريم . رسالة دكتوراه للباحث لم تنشر بعد . ص ٢٨١ .

١٥٨ – بحث للباحث منشور في مجلة الباحث الجامعي . جامعة (إب) الجمهورية اليمنية . العدد (١٢) ص ١ ، ١٦ .

١٥٩ – الشورى : ٥٢ .

١٦٠ – الإعجاز في مفهوم جديد .عبد الكريم الخطيب ٢/ ٢٥٢ .

١٦١ – أنظر : الروح لابن القيم . ص ٤٩ .

١٦٢ – باعتبار نزوله .

١٦٣ – بلغ عددها على بعض الاعتبارات (٧٧٩٣٤) . الاتقان للسيوطي ١/ ٧٢ .

١٦٤ – ذكره الألوسي في تفسيره ، ونسبه إلى علي كرم الله وجهه ١٦ / ٢١٤

١٦٥ – أخرجه الترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري برقم (٢٩٢٦) ٥/ ١٨٤ ، والدارمي في سننه برقم (٣٣٥٦) ٢/ ٥٣٣ .

المصادر والمراجـــع

١- إبراهيم بن موسى اللخمي : الموفقات في أصول الأحكام ، دار الفكر . بيروت ، د . ت .

٢- أحمد بن تيميه : النبوات : دار الكتاب العربي . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م .

٣- أحمد بن الحسين البيهقي : شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ

٤- أحمد عمر أبو حجر : التفسير العلمي للقرآن في الميزان ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٥- أحمد بن محمد الصاوي : حاشية الصاوي على الجلالين ، مطبعة مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .د.ت .

٦- أحمد نعيم الكرعني ، الدكتور : علم الدلالة بين النظرية والتطبيق ، ط١ ، ١٤١٣هـ –١٩٩٣م .

٧- اسماعيل بن عمر بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر . بيروت ، ط١٤٠٠،١هـ ١٩٨٠م .

٨- حامد صادق قنيبي ، الدكتور : المشاهد في القرآن الكريم ،مكتبة المنار . ط١، ١٩٨٤م .

٩- حامد محمود اسماعيل ،الدكتور : أصول الفقه الإسلامي ، ط١، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

١٠- الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الفروق في اللغة ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط٥ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٧٦م .

١١- الحسين بن عبد الله بن سينا : الإرشادات والتنبيهات ، دار المعارف . القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٣م .

١٢- الحسين بن محمد ، الشهير بـ(الراغب الأصفهاني) : مفردات غريب القرآن ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، = تحقيق ، محمد سيد كيلاني .

١٣- خليل رجب عمران الكبيسي ، الدكتور : علم التفسير ، أصوله وقواعده ، مركز عبادي للدراسات والنشر . الجمهورية اليمنية ، = ط١ ، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م .

١٤- زغلول النجار ، الدكتور : الإعجاز العلمي في القرآن ، مكتبة الشروق الدولية . ط٤ ، ١٤١١هـ –١٩٩١م .

١٥- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبري : المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم . الموصل ، ط١ ، ١٤١١هـ –١٩٩٠م .

١٦- السيد أحمد الهاشمي : القواعد الأساسية للغة العربية ، دار الكتب العلمية بيروت ، د . ت .

١٧- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق . بيروت ، ١٤١٦هـ –١٩٩٥م .

١٨- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، الدكتور : التفسير الموضوعي بين النظرية والتصيق ، دار النفائس . الأردن ، = ط٢ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٩- عبد الرؤوف المناوي : فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى . مصر ، ط١ ، ١٣٥٦هـ .

٢٠- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : المزهر في اللغة ، مكتبة دار التراث . القاهرة ، ط٣ ، د . ت .

٢١- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، المطبعة الأزهرية . القاهرة ، ط٢، ١٣٤٣هـ – ١٩٢٥م.

٢٢- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٢٣- عبد الرحمن أبي الوفاء محمد : أسرار العربية ، دار الجليل . بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥، تحقيق ، د/ فخر صالح قداره .

٢٤- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي : الإيضاح في علل النحو ، دار النفائس . بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

٢٥- عبد الرحمن السعدي : تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مطبعة مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، د . ت .

٢٦- عبد الستار فتح الله سعيد : المدخل إلى التفسير الموضوعي ، دار الطباعة والنشر الإسلامي ، القاهرة ، د . ت .

٢٧- عبد القادر أبو شريفه ، الدكتور ، وآخرون : علم الدلالة والمعجم العربي ، دار الفكر . بيروت ، ١٩٨٩م .

٢٨- عبد القادر عبد الجليل ، الدكتور : التنوعات اللغوية ، دار الصفاء ، القاهرة ، د . ت .

٢٩- عبد القاهر أبو بكر بن عبد الرحمن الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مكتبة سعد الدين . دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٣٠- عبد الكريم زيدان ، الدكتور : أصول الدعوة ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط٤ ، ١٤١١هـ -١٩٩٠م .
٣١- عبد الكريم نوفان عبيدات ، الدكتور : الدلالة العقلية في القرآن ، دار النفائس . عمان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
٣٢- عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري : مغني اللبيب ، المكتبة العصرية . بيروت ، ١٤١٦هـ -١٩٩٥ م .
٣٣- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي : سنن الدارمي ، دار الكتاب العربي . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٣٤- عبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني : الكامل في ضعفاء الرجال ، دار الفكر . بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .
٣٥- عبدالله بن عقيل العقيلي : شرح ابن عقيل على ألفيه ابن مالك ، دار التراث . القاهرة ، ط٢٠ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٦- عبد المجيد عزيز الزنداني : كتاب التوحيد ، للصف الأول الإعدادي . وزارة التربية والتعليم ، الجمهورية اليمنية . = ط٢ ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٣٧- عبد الملك بن هشام المعافري : السيرة النبوية ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، د . ت .
٣٨- عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، دار القلم . الكويت ، ط١٢ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٣٩- عثمان بن جني : الخصائص ، عالم الكتب . بيروت ، تحقيق ، محمد علي النجار ، د . ت .
٤٠- علاء الدين بن علي بن إبراهيم البغدادي : تفسير الخازن ، المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل ، مطبعة مصطفى = البابي الحلبي . مصر ، ط٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
٤١- علي بن أبي بكر الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٢- علي بن عبد الكافي السبكي : الإبهاج شرح المنهاج ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
٤٣- على المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤٤- علي بن محمد بن علي الجرجاني:التعريفات،دار الكتاب العربي.بيروت ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، تحقيق ، إبراهيم الأبياري.
٤٥- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي :الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، مكتبة الفارابي . دمشق ، تحقيق ، أمين قرة وآخرون .
٤٦- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : إعلام الموقعين ، دار الجيل . بيروت ، ١٩٧٣م .
٤٧- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : بدائع الفوائد ، مكتبة القاهرة . ط٢ ، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م .
٤٨- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية.بيروت ، د .ت .
٤٩- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : زاد المهاجر إلى ربه ، مكتبة المدني . جدة ، د . ت ، تحقيق ، د/ محمد جميل غازي .
٥٠- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية : الروح ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م .
٥١- محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب المصرية . ط١ ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م .
٥٢- محمد بن إدريس الشافعي :الرسالة ، المكتبة العلمية . بيروت ، د . ت .
٥٣- محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري ، دار الفكر . بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
٥٤- محمد بن بدر الدين الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة . بيروت ، ١٣٩١هـ .
٥٥- محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري ، المسمى (جامع البيان عن تأويل القرآن) مطبعة البابي الحلبي وأولاده .القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٥٦- محمد حسن جبل ، الدكتور : دفاع عن القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية . د . ت .
٥٧- محمد حسين الذهبي ، الدكتور : التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة . القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
٥٨- محمد الخضري : حاشية الخضري على ابن عقيل ، دار الفكر . بيروت ، د . ت .
٥٩- محمد الطاهر بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، سحنون للتوزيع والنشر . تونس ، د . ت .

٦٠- محمد عبد الله دَراز الدكتور : النبأ العظيم ، دار إحياء التراث الإسلامي . قطر ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٦١- محمد عبد الله،المعروف (بالحاكم):المستدرك ، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع . ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٧٢م .
٦٢- محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير ، دار الفكر . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٦٣- محمد بن علي الصبان : حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ، دار إحياء الكتب العربية . د . ت .
٦٤- محمد بن عمر بن الحُسين الرازي:مفاتيح الغيب،الشهير بـ (التفسير الكبير)،دار الفكر.بيروت،١٤١٠هـ-١٩٩٥م.
٦٥- محمد بن عمر بن الحسين الرازي : المحصول في علم الأصول ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ، ط١ ، ١٤٠٠هـ .
٦٦- محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي ، دار الفكر . بيروت ، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م .
٦٧- محمد فؤاد عبد الباقي :المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث . القاهرة ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٦٨- محمد بن محمد بن أحمد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الفكر . بيروت ، ط١ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٦٩- محمد بن مكرم بن علي بن منظور : لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
٧٠- محمود بن عبد الله بن محمود الألوسي : روح المعاني ، دار الفكر . بيروت ، د . ت .
٧١- محمود بن عمر بن محمد الزمخشري : الكشاف . دار المعرفة . بيروت ، د . ت .
٧٢- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الفكر العربي . بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٧٣- مصطفى بن عبد الله ، الشهير بـ (حاجي خليفة) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وكالة المعارف . استانبول ، تركيا ، ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م .
٧٤- مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط١٤ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٧٥- نور الهدى لوشن ، الدكتورة : علم الدلالة دراسة وتطبيقاً ، منشورات جامعة قار يونس . بنغازي ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٧٦- يحيى محمد عامر ، الدكتور : العقلية اليهودية في القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه . جامعة (إب) الجمهورية اليمنية لم تطبع بعد.